

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله
وأصحابه ومن والاه .

وبعد ..

فإن الهزيمة التي حاقت بالعرب في عام ١٩٦٧ ، وفقدوا فيها
ما بين القنطرة والقنيطرة ، وأصبح المسجد الأقصى في قبضة
إسرائيل . كانت إحدى الكوارث الكبرى في تاريخ هذه الأمة ..
ولا يشبهها إلا نكبة التتار حين دخلوا بغداد ، ودمروا الحضارة
الإسلامية ، وأسقطوا الخلافة العباسية ، وخرّبوا من الدور ،
وأُتلفوا من الكتب ، وذبحوا من البشر ، ما لم يكذ يحدث مثله في
التاريخ .

ومن حق هذه القارعة الهائلة في تاريخ العرب والمسلمين أن
تتناولها الأقلام بالتحليل والدراسة لتأخذ منها العبرة ، وتقتبس
منها الفطنة .

ولقد كنت راغباً عن الكتابة في هذا المجال ، ليقوم به من هم
أقدر مني عليه ، وأخص به من رجال الفكر الإسلامي .

ولكنى وجدت شتى الأقلام تتناول هذه القضية من زواياها المختلفة ، وجلها غريب عن هذه الأمة وتراثها وعقائدها وقيمتها الأصيلة .

لقد ساءنى أن أجد بين قومى من يعللون الأحداث الكبار ببساطة وضحالة عجيبة . فكارثة ١٩٦٧ الكبرى سببها غلطة عفوية ، أو خيانة من بعض الأشخاص . ولولا غلطة فلان ، أو خيانة علان لتبدل الموقف من هزيمة ساحقة إلى نصر مؤزر . وغازنى أن أجد من الناس من يتجاهل الحقائق الناصعة ، وينكر الشمس فى رابعة النهار ليثبت ما يستحق النفى وينفى ما يستحق الإثبات .

ومن هنا قويت عزيمتى على الكتابة .

ثم كان أن طلبت إلى مجلة « حضارة الإسلام » الغراء كتابة مقال لها عن « دور الفكر فى قضية فلسطين » فى عدد خاص تصدره بشأن القضية ، فكان ذلك هو السبب المباشر لكتابة هذه الصحائف التى أقدمها للقارئ اليوم .

وأنا لست من محترفى السياسة الحزبية ، ولكن دينى علمنى أن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

والذى يهمنى فى القضية - بصفة أساسية - هو الجانب الفكرى فيها .

ولهذا فإننى أتحدث هنا من زاوية الفكر أكثر من زاوية السياسة والتاريخ . والذى يعنينى أولاً هو مناقشة الأفكار وتصحيحها قبل أن يعنينى سرد الوقائع وتصنيفها .

إن مهمة الفكر فى القضية أن يعمق الوعى بها ، ويزيح الضباب والقتام من حولها ، ويجليها للعقول والبصائر كما هى بلا مغالطة ولا تزيف ولا غلو ولا تحيز .

مهمة الفكر أن يرد الأشياء إلى أصولها ، ويربط الحوادث بأسبابها البعيدة العميقة ولا يكتفى بما يطفو على السطح ، ولا يخدع بما يبدو للناظر المتعجل كأنه ماء ، وهو فى حقيقته سراب .

مهمة الفكر أن يُعرِّفنا : مَنْ نحن ؟ وما رسالتنا ؟ وما دورنا ؟ ومَنْ عدونا وما حقيقته ؟ وماذا نملك وماذا يملك ؟ حتى نكون على بينة من أمرنا .

مهمة الفكر أن ينظر إلى الغد البعيد ، ولا يخطف بصره الحاضر القريب ، إنما يستفيد من درس الأمس ، وآلام اليوم ، لآمال الغد .

مهمة الفكر أن يوضح لنا الهدف ويرسم لنا الطريق ، ويضع أيدينا على العقبات والمعوقات . هذه هى مهمة الفكر وهذا دوره . وهذا ما يجب أن يقوم به وخاصة فى ديار الإسلام . فهل أدى الفكر دوره فى ذلك ؟

كان المفروض أو المظنون بعد نكبة ١٩٦٧ أن يصحو الفكر
السكران ، ويستقيم الفكر الأعوج ، ويظهر الفكر الأصيل ،
ويختبئ الفكر الدخيل والفكر السطحي والفكر الجبان . ولكن
خاب الظن وطاش السهم . وأصبحنا نقرأ ونسمع ألواناً من الفكر
فى تفسير الأحداث وتعليل الوقائع ، لا تستحق إلا الرثاء .

إن مأساة فلسطين هى نذير إلهى للمسلمين ليعودوا إلى دينهم
بعد طول غياب فيستيقظوا من سبات ، ويحيوا من موات .

والذى نؤكد من هذه الصحائف هو ضرورة العودة إلى الإسلام ..
الإسلام الصحيح .. الإسلام الشامل الذى يعيدنا - كما كنا -
خير أمة أخرجت للناس .

ويدون هذه العودة أجد المصير مخيفاً ، والمستقبل يحفه الرهبة
والظلام . ومطامع إسرائيل لم تنته بعد ، ولم يكفها كل ما اغتصبت
لتشبع نهمتها . فلا زال فى أحلامها أراض فى العراق ومصر وفى
الحجاز : فى المدينة عند قبر الرسول ومسجده صلى الله عليه وسلم .
حيث كان يقيم يهود بنى قينقاع وقريظة والنضير . وغيرهم من
يهود خيبر والحجاز .

فلنصدقن الله ليصدقنا الله ، ولنغضب لله ليغضب لنا ،
ولننصره حتى ينصرنا . فقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعَسَىٰ لَهُمُ الْآزِلُ أَعْمَالُهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ
اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿١١﴾ .

فكيف ننتظر نصر الله وأزمتنا فى أيدي الذين يكرهون ما أنزل
الله ؟

هذا هو رأى الشخصى فى المخرج من هذه النكبة الكبرى ،
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

شعبان ١٣٨٨ هـ - نوفمبر ١٩٦٨ م

د . يوسف القرضاوى

* * *